REPUBLIQUE TUNISIENNE
MINISTERE des AFFAIRES CULTURELLES
INSTITUT NATIONAL DU PATRIMOINE

الـجـمـهـوريـة الـتـونـسـيـة
وزارة الشـؤون الثقافيـة
الـمـعـهـــد الـوطـني لـلـتـــــراث

الجرد الوطنيّ للتّراث الثقافيّ اللاّماديّ

بطاقة جرد عنصر رقم 06/127

1- تحديد العنصر

- اسم العنصر

"أنظمة الريّ التقليديّة واستخدام المياه: المعارف والممارسات".

- أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلّي

السقي، السواقي، الغمر، الجسور والطوابي.

- الإطار الجغرافيّ لانتشار العنصر

تنتشر أنظمة الريّ التقليديّة بأغلب جهات البلاد وخاصّة نظام السواقي الذي يستخدم بكلّ المناطق تقريبا من شمال البلاد إلى جنوبها، بينما تقتصر بعض أنظمة الريّ التقليديّة الأخرى على جهات محدّدة اندثر بعضها في حين ما يزال البعض الآخر متّبعا إلى اليوم، نذكر على سبيل المثال نظام الجسور والطوابي بتطاوين الذي يمثّل نظاما محليّا متوارثا وكثير الانتشار بالجهة.

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

- المعارف والممارسات المتّصلة بالطبيعة والكون.
- المهارات المرتبطة بالحرف التقليديّة.

2- وصف العنصر

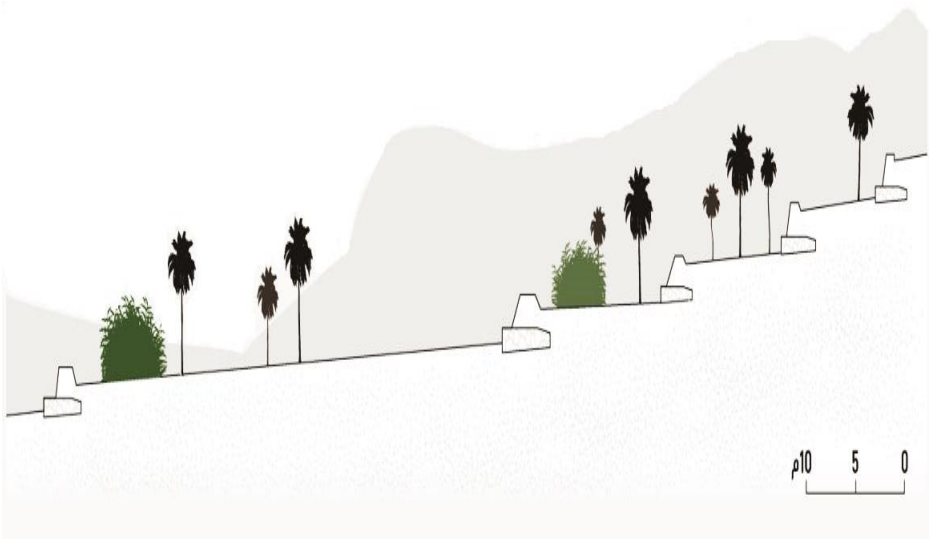
- الوصف التّفصيليّ

تنتشر بالبلاد التونسيّة الكثير من المنشآت المائيّة التقليديّة الضاربة في القدم، كانت تخصّص لاستغلال المياه السطحيّة والباطنيّة وفق أنظمة محدّدة ولاستخدامات مختلفة أبرزها الأنشطة الفلاحيّة باعتبار المياه من أهمّ الموارد الرئيسيّة للإنتاج الزراعي وضمان استدامته. وقد ارتبطت المنشآت المائيّة بممارسات وتقاليد عريقة سيّما تلك المتّصلة بأنظمة الريّ حفاظا على المياه وضمانا للاستغلال المحكم لها. يرتكز الريّ التقليدي على تقنيات قديمة تقوم على الاستفادة من مياه الآبار والأمطار والمياه الجوفيّة، منها ما اندثر ومنها ما يزال استخدامه متواصلا إلى اليوم. ومن أبرز الطرق التقليديّة نظام الفقارة أو الخرايق الذي يقوم على استخراج المياه الجوفيّة ونظام الريّ بالفخّار باعتماد الجرار الفخّاريّة المملوءة بالماء والمدفونة في الأرض، وقد توقّف استخدامها واندثرت في الجهات التي تمارس فيها. بالمقابل، يعدّ نظام السواقي أكثر أنظمة الريّ التقليديّة انتشارا حيث ينتشر بمعظم جهات البلاد، في حين ينتشر نظام الجسور والطوابي بالجنوب التونسي وتحديدا بجهة تطاوين وما يزال يستخدم إلى اليوم.

تقنيات الريّ التقليديّة

تمثّل تقنيات الري التقليدية جزءا من التراث الزراعي الذي تراكم عبر فترات تاريخية متعاقبة، وهي تتنوّع وفق الخصائص الطوبوغرافية والمناخية وطبيعة الموارد المائية المتاحة كما يبدو في الاختلاف القائم بين الأقاليم الجغرافية للبلاد على صعيد أساليب الري المعتمدة.
وإذا اقتصرنا على جنوب البلاد، حيث سلسلة "جبال الظاهر" الممتدة على حوالي 200 كلم، يمكن تبيّن التقنيات التالية:

-"الجسور" و"الطوابي"



رسم بياني لنظام الجسور في الجبل بمنطقة الجنوب الشرقي التونس

- **"الجسور"**: هي عبارة عن سدود صغيرة تنشأ عند سفوح الجبال ومجاري الأودية، وهي مشيدة من حجارة دون ملاط تسمّى "صياح"، وذلك وفق خطوط ارتفاعات المنحدرات. وتتخذ شكل شبكة مصمّمة بطريقة تسمح بالتحكم في الجريان السطحي لمياه الأمطار في هذه البيئة الجافة التي لا يتجاوز فيها المعدّل السنوي لكمية الأمطار 200مم، بحيث تتمّ حماية القرى والمدن من الفيضانات عبر التخفيض من قوّة السيول الجارفة التي تتبع مسارات الأودية، وفي الوقت نفسه، الحصول على مساحات صالحة للزراعة بفضل ما تجرفه مياه السيلان معها من تربة غنية بمواد عضوية، فضلا عن تخزين كمية من الماء وتغذية المائدة المائية.
- **"الطوابي":** هي حواجز من التربة تدعّم قاعدتها أحيانا ببعض الحجارة وتكوّن سدودا أصغر من الجسور لكنّها كثيرا ما تتكامل معها لتشكيل نظام متدرّج في التحكّم في المياه من خلال توجيه مساراتها

وخزنها وصرفها. وهي ذات امتداد طوليّ يمكن أن يتجاوز عشرين مترا مع معدل ارتفاع بين مترين وخمسة أمتا، وكلّ طابية تجهّز ب "رأس" يصل بين جانبي المنحدر. وتخترق كل طابية فجوة صغيرة تسمى "المنفس" أو "القناء" تسمح بمرور كميات من المياه المحجوزة بتحويلها إلى أسفل، سواء إلى الجسور الأخرى أو الأودية عند الضرورة.
ومثلما يرتبط الجسر ب "المنفس" أو "القناء"، فإنّه يتصل أيضا ب "المسفى" الواقع أعلاه والذي هو بمثابة خزّان أوّلي يمتدّ عند أوّل المنحدرات لجمع مياه السيلان. وبهذا تظهر الجسور والطوابي في شكل مدرّجات تمنح مستغلات زراعية متناغمة مع طوبوغرافية المكان.

-"السواقي"

هي من أكثر التقنيات انتشارا، وهي قنوات مكشوفة لتوزيع الماء انطلاقا من مصادره نحو المستغلات الزراعية. وتكون في شكل جداول محفورة في الأرض، أحيانا تترك على هيئتها الترابية، وأخرى تكسى بالحجارة أو الإسمنت. وترتبط بالجسور وبالأودية لتحويل المياه وتوزيعها. وتراعى في إنشائها عدّة اعتبارات فيزيائية وطوبوغرافية مثل درجة انحدار الماء ونوع التربة والمسافة بين مجرى الماء والمستغلات الزراعية المستهدفة.
يقوم نظام السواقي على مبدأ التفريع، حيث تتفرّع الساقية الأم إلى سواق فرعية سرعان ما تتحوّل هي بدورها إلى سواق صغرى حسب المقاطع والمساحات المسموح لها بالاستفادة من الماء المحوّل وبما يتطابق مع ملكية هذه الأراضي، بحيث يأخذ صاحب كلّ مستغلّة نصيبه المتفق عليه من الماء.
سعت مختلف هذه الأنظمة التقليديّة إلى الاستفادة من المياه المتوفّرة دون استنزاف هذه الثروة الطبيعيّة مع مراعاة الظروف المناخيّة المحليّة وشحّة المياه خاصّة بالجنوب التونسي، إلى جانب طبيعة التضاريس، وتساهم هذه الأنظمة بالتالي في ترشيد استهلاك المياه والحفاظ على الموارد المائيّة من خلال الاستخدام المحكم وحمايتها من التلوّث، فضلا عن ضمان حقّ مختلف الأطراف المعنيّة في توزيع عادل للمياه.

- العناصر الماديّة واللامادية المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

- الضيعات الفلاحيّة والأراضي الزراعيّة.
- المساحات الزراعيّة الواحيّة.
- العيون والآبار التقليدية.
- الأحواض والمجاري المائية.
- الأدوات الفلاحيّة التقليديّة.
- القنوات الترابية المستخدمة لنقل المياه.
- السدود الحجريّة والترابيّة الصغيرة.

- الممارسات العرفية التي تنظّم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا يوجد ما يمنع الوصول إلى العنصر أو يحول دون ممارسته.

- كيفيّة التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة

يتمّ تناقل المهارات والمعارف ومختلف الممارسات المرتبطة باستخدام أنظمة الريّ التقليديّة وإعدادها عبر توارثها داخل نفس العائلة بطرق غير رسميّة من خلال الملاحظة والمشاركة في مختلف الأعمال المتصلة بهذا النمط من الريّ، وتدعم هذا التوجّه الجمعيّات والتعاونيّات المعنيّة بالعنصر في المجتمعات المحليّة، وبطرق رسميّة من طرف الهيئات الرسميّة التي تنقل هذه المعارف غبر مراكز التكوين المهني ومؤسسات التعليم العالي والمدارس فلاحيّة والضيعات الحكوميّة لتطبيق المعارف الزراعيّة وإجراء التربصات. كما ينتقل العنصر من خلال المهرجانات الفلاحيّة والملتقيات العلميّة وبعض المتاحف والمواقع التاريخيّة

والأثريّة التي توثّق العنصر بين الماضي والحاضر وتقف شاهدا على عراقته مثل الحنايا الرومانيّة ومعبد المياه بزغوان.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

- المزارعون الذين يسقون الأراضي الزراعية
- المهندسون الفلاحيّون
- مالكو الأراضي الزراعية من الجنسين
-الحرفيون والعمّال الذين يشيدّون منشئات الري التقليديّة
- الخبراء الذين يمتلكون المعارف التقليدية في التعامل مع المياه الجوفية وخصائصها وطرق استخراجها واستغلالها.
- البيارون الذين يقومون بحفر الآبار

- مشاركون آخرون

- الجمعيات والتعاونيات الزراعية والمائية.
- الباحثون من الجنسين في مجالات الزراعة والهندسة المائية والتراث الثقافي غير المادي الذين يتولون دراسة العنصر وتوثيقه وفق تخصصاتهم.
- تجار المواد الخام والأدوات لمستخدمة في إعداد بعض أنظمة الريّ التقليديّة.

- منظّمات غير حكوميّة/ المجتمع المدنيّ

- جمعيّة تنمية بلا حدود بتطاوين.
- الجمعية التونسية للطاقة والمياه والبيئة.
- جمعيّة إيلاف بتطاوين.
- جمعيّات صيانة المدن.
- المجامع الفلاحية النسائية
- مجامع التنمية الفلاحية

- هيئات رسميّة

- وزارة الشؤون الثقافية
- المعهد الوطني للتراث.
- مركز الفنون والثقافة والآداب القصر السعيد.
- المندوبيّات الجهويّة للشؤون الثقافيّة.
- المندوبيّات الجهويّة للتنمية الفلاحيّة.
- وكالة النهوض بالاستثمارات الفلاحيّة.
- مراكز التكوين المهني.
- مؤسّسات جامعيّة للتعليم الزراعي

4- مدى قابليّة العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

ترتبط العديد من أنظمة الريّ التقليديّة بالعوامل المناخيّة والبيئية والاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يضعها في مواجهة عراقيل تهدّد استمراريّتها:

- تراجع المعارف والمهارات المرتبطة بالريّ التقليدي.
- عزوف الشباب عن الممارسات الفلاحية التقليدية.
- هيمنة أنظمة الري الحديثة وتوجّه الفلاحين نحو استخدامها والتي ساهمت في تهميش الممارسات التقليدية وإضعاف المهارات المرتبطة بها.
- الانخفاض الكبير لمخزون الموائد المائيّة وارتفاع درجة ملوحتها في عديد المناطق الواحيّة بسبب تعاقب سنوات الجفاف والتغيرات المناخية.
- التأثير السلبيّة للتحوّلات المناخيّة التي ساهمت في تفاقم التصحّر وشحّ المياه ممّا يحدّ من جدوى هذا النمط التقليدي من الريّ.
- استنزاف كبير للمائدة المائية نتيجة ارتفاع كبير لمعدلات حفر الابار الارتوازية العميقة.

5- برامج التّثمين وإجراءات الصّون

مثّلت جهود الصون نقطة عمل تشاركي بين الهيئات الرسميّة والجماعات والمجموعات المعنيّة بالعنصر وقد اتخذت أشكالا مختلفة جمعت بين التشريعي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي:
- الاعتراف القانوني بأساليب الريّ التقليديّة من خلال إدراجها ضمن مجلّة المياه وإفرادها بنصوص تشريعيّة خاصّة لحمايتها منذ تأسيس المجلّة سنة 1975.
- بعث ديوان الأراضي الدوليّة للإشراف على الزراعة والمياه منذ سنة 1964.
- تنظيم اليوم العالمي للمياه في 22 مارس من كل سنة وذلك منذ 1993.
- مشاركة عدد من الجمعيّات وأفراد من المجتمع المدني من عدّة دول عربيّة في منتدى الشباب الإقليمي الأخضر الذي انتظم بتونس في أواخر أكتوبر 2025 حول بناء مجتمعات أكثر صموداً أمام تحديات تغيّر المناخ وندرة المياه.
- بعث مشاريع تعنى بالمياه المستخدمة في الري التقليدي بالمناطق الفلاحيّة الريفيّة مثل مشروع "التصرّف في المياه في ظلّ التغيّرات المناخيّة" الذي أطلقته جمعيّة تنمية بلا حدود بتطاوين لفائدة المجامع الفلاحيّة النسائيّة وذلك سنة 2024 وتضمّن ورشات تكوينيّة في التصرّف في المياه.
- تكثيف الدراسات والملتقيات العلميّة والورشات التي تعنى بهذا العنصر بإشراف مؤسّسات مختصّة مثل المعهد الوطني للبحوث الزراعية بتونس و وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بجامعاتها ومعاهدها العليا، من ذلك مثلا الورشة التي انتظمت يومي 23 و 24 نوفمبر 2024 بالحمامات من قبل برنامج الامم المتحدة الانمائي بالتعاون مع الإدارة العامة لتهيئة والمحافظة على الأراضي الزراعية بوزارة الفلاحة لتبادل المعلومات والتجارب حول النظم المائية التقليدية مثل : الجسور بتطاوين، الطابية، الفساقي و الماجل، المسقاط والمنقع الرملي بغار الملح.
- تعهّد المجتمع المحلّي بصيانة الأحواض والسواقي والقنوات المتصلة بها بمشاركة الجمعيّات بصفة منتظمة وفي أجواء اجتماعيّة شبه احتفاليّة.
- مشاركة المجتمعات المعنيّة في صياغة مجموعة من الإجراءات وتنفيذها بالتنسيق مع المؤسّسات الرسميّة المعنيّة بهذا التراث وحضور عدّة اجتماعات بهذا الخصوص، من ذلك مثلا تمّ تنظيم العديد من الورشات لترشيد استخدام مياه الريّ وفقا للطرق التقليديّة شملت مشاركين من الجنسين.
- المساهمة في تنظيم التظاهرات الثقافيّة والعلميّة التي تعنى بالعنصر بمقرّات بعض الجمعيّات أو الجامعات أو مراكز البحث.
- تشجيع الشباب والأطفال على الانخراط في مختلف الممارسات المرتبطة بالعنصر وتعلّم المهارات المتوارثة جيلا بعد جيل، من خلال تنظيم زيارات للأراضي الزراعية والواحات التي تستخدم أنظمة ريّ تقليديّة وإشراكهم في عمليّات الصيانة والتنظيف وغيرها.

6- التوثيق الفوتوغرافيّ للعنصر



غمر الأرض بالماء بإحدى الواحات



ساقية ترابيّة



نظام الجسور والطوابي بجهة تطاوين لتجميع المياه وريّ المساحات المزروعة



جسر أو سدّ من الحجارة



طابية من التراب

7- هويّة الشخوص المرجعيّة المعتمدة في استيقاء البيانات

- السيّد حبيب بلحبيب، مهندس فلاحي ورئيس جمعيّة تنمية بلا حدود بتطاوين.
- السيّد منصور بوليفة، أستاذ متقاعد وصاحب عدّة مؤلفات حول تاريخ تطاوين وتراثها.
- السيد محمد الأمجد الشائبي متقاعد من العمل الثقافي، باحث في تراث وتاريخ الواحة وناشط في العمل الجمعياتي.
- محمّد بن عبد الله، فلاّح وصاحب أرض زراعية، معتمدية الميدة، ولاية نابل.
- حمّادي بلعيد، فلاّح وصاحب ضيعة، سيدي عمر بوحجلة، ولاية القيروان.

8- المصادر والمراجع المكتوبة

- جمعة (حافظ)، **نويّل الأرض والناس**، دار وشمة للنشر الورقي والإلكتروني، الطبعة الأولى، تونس 2024.

- ضيف الله (محمد)، **المجتمعات المائية بتونس قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر**، الطبعة الأولى، جولية 2005.

- مكرازي (عون الفرجاني)، **الماء في الإسلام**، شركة دلتا للطباعة،2013.

- ابن خلدون (عبد الرحمان)، **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مطبعة دار الأفكار الدولية.

- الشابي (محمد)، **ابن شباط، تونس اعلام ومعالم**، وكالة احياء التراث والتنمية الثقافية، 1997.

- الرحيلي (حسين)، **تأثير التحولات المناخية على الواحات التونسية**، مكتبة شمال افريقيا

- حسن (محمد)، التهيئة المائية بإفريقية في العصر الوسيط، **أعمال الندوة الدولية الثالثة** المنعقدة بالمكتبة الوطنية أيام 15-16-17 نوفمبر 2007 "الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط"، 2009، ص 167-221.

- البكر (عبد الجبار)، **النخلة ماضيها ومستقبلها وتجارتها وصناعتها**، الطبعة 1973، ص 165-166

- التيجاني (أحمد)، **رحلة التيجاني**، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس 1981.

- بن عمر الكاروس (المبروك)، الكاروس (محمد)"العيون الطبيعية" **مجلة شمس على ظلال**، العدد الأول،2024، ص 4.

- Bonniard F. 1934 : *La Tunisie du Nord. Le Tell Septentrional. Étude de géographie régionale*, Paul Geuthner, Paris.
- Kassab A.1979: *L'évolution de la vie rurale dans les régions de la Moyenne Medjerda de et de Beja-Mateur*, Publications de l'Université de Tunis.
- Pascon P. 1978: « De l'eau du ciel à l'eau d'Etat. Psychologie de l'irrigation », in *Homme Terres et Eaux*, vol. 8, pp.3-10.
- Poncet J. 1962, *La colonisation et l'agriculture européenne en Tunisie depuis 1881. Etude de géographie historique et économique*, Mouton, Paris-La Haye.
- Saidi A. 1975: « Le peuplement de la Haute Vallée de Medjerda », in *Revue Tunisienne de Sciences Sociales*, n°40-43, pp.185-241.
- Rodier et al. 1981: *Le bassin de la Medjerda, Monographie hydraulique*, Office d'Outre Mer/DRES, Tunis.

- Torre, André. 2015 : « Théorie du développement territorial » in *Géographie, Économie, Société* 17, pp. 273-288.
- Torre, A., Galliano D., et R, Rama. 2013, Localisation et ancrage territorial des firmes agroalimentaires – Introduction au dossier thématique, *Economies et Sociétés*, Série « Systèmes Agroalimentaires », N°11-12, 1997-2008.

- السّمعيّة البصريّة

- مقاطع فيديو تعود لبعض الجمعيّات الناشطة في مجال البيئة والتراث.
- برامج سمعيّة بصريّة تهمّ المجال الفلاحي صادرة عن قنوات إذاعيّة وأخرى تنشط على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل قناة المنارة الفلاحية التي تُعنى بمجال الإرشاد والإعلام الفلاحي.
- إذاعة تطاوين: تقنية "الجسور" و "الطوابي" ابتكرها الأجداد واستثمرها الأحفاد، سبتمبر 2016.

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

- رسوم بيانيّة ووثائق واردة ببعض الكتب حول أنظمة الريّ التقليديّة.

9- معطيات تقنية حول عمليّة الجرد

- تاريخ البحث الميدانيّ ومكانه

أكتوبر- نوفمبر 2025

- جامع أو جامعو المادّة الميدانيّة

إسمهان بن بركة، مكلّفة بالبحوث وأستاذة جامعيّة/ حبيب بلحبيب، رئيس جمعيّة تنمية بلا حدود بتطاوين/ مبروكة الطبّال، محافظ مستشار التراث / مبروك لزعر، باحث في التراث التقليدي/ جمعيّة إيلاف تطاوين.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

أكتوبر- نوفمبر 2025

- محرّر بطاقة الجرد

د. إسمهان بن بركة، مكلّفة بالبحوث / أستاذة جامعيّة.

- الإشراف العلمي والمراجعة

د. إسمهان بن بركة، مكلفة بالبحوث/ أستاذة جامعيّة.

- تحيين بيانات الجرد

نوفمبر 2025.